فن الرسوم الصخرية: مواقع أثرية جديدة من اليمن

حسين ابو بكر العيدروس* - حضرموت، اليمن

تنتشر الرسوم الصخرية في عدد غير قليل من مواقع الاستقرار اليمني، إن لم نقل في أغلبها. وتوزعت هذه الرسوم إلى جانب الكتابات بالمسند في المرتفعات الجبلية والسهول والأودية وعلى مشارف الصحراء. الكثير من هذه المواقع أرخت إلى مرحلة تزامنت مع ظهور الأبجدية المنظمة في القرن الثامن ق. م[1]. نستعرض في هذا المقال عددا من المواقع الجديدة بهدف توثيق هذا المخزون الثقافي الهائل الذي يتعرض للتدمير في بعض المناطق نتيجة لعدم الوعي بأهميته أو لأي أسباب أخرى.

المواقع

جمعت الرسوم الصخرية في هذا المقال من مواقع تقع بين محافظتي صَنعاء وعَمْرَان. المواقع الأولى كانت من منطقة صِيْح - بني مَطر في محافظة صنعاء والواقعة قرب شبام كوكبان غرب صنعاء[2]. أما المنطقة الثانية فقد كانت سَوَاد بَهَايس بمنطقة رَيْدَة في محافظة عَمْرَان شمال صنعاء[3]. والمنطقة الثالثة هي منطقة بني مَيْمُون - عِيَال سُرَيح تابعة أيضا لمحافظة صنعاء في الطريق بين صنعاء وكوْكبَان[4]. والمنطقة الرابعة من منطقة آكَام الذِّيَاب - اليَمَانيتين في خَولان الطِّيَال جنوب شرق صنعاء[5].

معظم هذه المواقع تقع في مناطق مهجورة اليوم وبعيدة إلى حد ما عن أماكن النشاط البشري الواضح. إلا ما يتم استغلاله من رقعة الأرض أثناء مواسم المطر للزراعة. وخاصة تلك التي تقع بقرب الأودية الصغيرة أو مصبات الجبال. فمنها على الهضاب والمرتفعات حيث لا حياة حولها كما هو الحال في مواقع بَني مَيْمُون في منطقة عِيَال سُريح شمال غرب صنعاء وكذلك الأمر في مواقع قراطيس وزهراء بنت الأسْهَر قرب المَسَاجِد غرب صنعاء وكذلك في آكام الذياب في خولان الطيال. ومنها ما هو في الأودية الجافة كما هو في مواقع سواد بهايس في وادي الدِّحل في ريدة. حيث يمكن مشاهدة نشاط زراعي محدود أثناء مواسم المطر ليس أكثر. وكذا في موقع صيح بني مطر جنوب غرب منطقة شبام كوكبان الذي يقع في وادٍ ضيق يزرع زراعة بسيطة يمكن تشبيهها بالبستنة المتطورة[6].

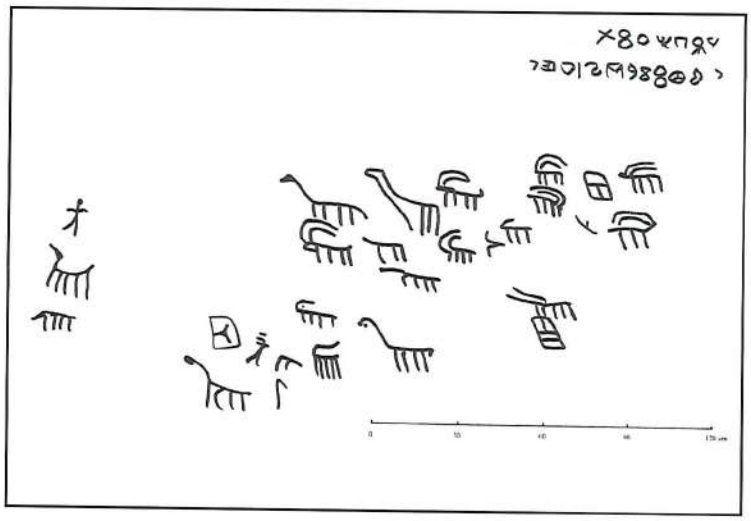

لوحة ١ : أوضاع مختلفة لحيوانات أبرزها الوعل والجمل وكتابات مسندية من منطقة صيح - بني مطر

موقع صِيْح بني مطر[7] (لوحة ١، ٢)

في واد صغير ضيق خلف منطقة شبام كوكبان غربا. وعند مدخل الوادي باتجاه اليمين توجد صخرة كبيرة متصلة بالجبل

---

* باحث متخصص في الآثار القديمة- حضرموت- اليمن artsroom@maktoob.com

١. بالطبع ذلك فيما يخص النقوش الرسمية، راجع: برون ١٩٩٩، ص ٥٦. أما الحديث عن الكتابات على الصخور فلم تحدد بداياتها وهو الأمر الذي من المتوقع أن تكشفه الأبحاث الأثرية القادمة.

٢. عام ١٩٩٤. بعثة قسم الآثار (جامعة صنعاء) للكشف عن المقابر الصخرية التي عثر فيها على عدد من الجثث المحنطة بتاريخ ١٩٩٤/٧/١٨. تألف الفريق من د. غسان طه ياسين، محمد سعد القحطاني، عبد الوهاب محمد عسلان، محسن السعيد، عبد الحكيم شائف محمد، حسين أبو بكر العيدروس، شهاب الدين الزبير (رحمة الله عليه).

٣. عام ١٩٩٥.

٤. عام ١٩٩٥.

٥. نفذت هذه الرسوم بمساعدة الأخ الصديق الدكتور محمد علي السلامي لكونها من منطقته في جبل اللوز، بخولان.

٦. إن تأخير نشر معلومات هذه المواقع يرجع لعدة أسباب منها جمع المزيد من المعلومات حول هذا الفن، أماطه وأساليبه. ومن الأسباب الأخرى صعوبة تفريغ هذه اللوحات من الصور مباشرة نتيجة لضعف الإضاءة مرة وتداخل الألوان لكون معظمها رسم بالتحزيز الدقيق، ما تطلب وقتا طويلا باستخدام العدسات المكبرة والإضاءات ووسائل توضيح الصور قدر المستطاع.

٧. Seeh Bani Matar.

عليها رسوم حيوانية وكتابات بخط المسند. الرسوم تباينت بين داكن وداكن بصورة أقل بالرغم من أنها جميعا نفذت بأسلوب النقر. إلا أن هذا التمييز يفسر المرحلة الزمنية التي يعود إليها الرسم. فدرجة اللون الداكنة بصورة أكثر. فهي غير واضحة تماما نتيجة لمرور الزمن عليها وتحول اللون ومقاربته للون الصخر الذي يكاد لا يُرى إلا بصعوبة رغم أن الصخرة من نوع الجرانيت القاسي ذي اللون البني الداكن. أما الرسوم الأكثر وضوحا فهي ذات لون فاتح وبالتأكيد متأخرة زمنيا. ويمكن مقارنتها مع بعض المواقع المدروسة في الجزيرة العربية ومنها على سبيل المثال الحاجر ووادي غول وظفار في عُمان[٨]. أما الكتابات المُسندية فهي قليلة وتنسب للنوع الأول الأقدم. ومعنى هذا أنها من مرحلة البدايات الأولى. الرسوم في لوحة (١) عودية تمثل أنواعا من الحيوانات مثل الوعول والجمال. ويمكن مقارنتها بعدد كبير من المواقع في اليمن وعمان وبرسومات من ظفار[٩]. أما الكتابات فتقع في أعلى الصخرة.

في جانب آخر من الصخرة يظهر رسم لوعل بلون أحمر بشكل مستطيل لا تظهر تفاصيل بقية الجسم غير خط واحد لرجل أمامية وبروز أمامي يمثل الرأس. وهذا الأسلوب متبع في كثير من المواقع وقد يأتي بأسلوب إطاري كما في موقع وادي ضم شمال شرق تبوك[١٠].

أمام هذا الوعل يظهر ما يشبه السياج أو الحظيرة. وأما إلى اليسار من الوعل فيظهر الجزء الأمامي لحيوان يشبه المها حيث تظهر قرناه ممتدين إلى الأعلى وهو مصمت الجسم باللون الأحمر. وهذا الأسلوب ظهر في رسوم المنطقة الوسطى. وهو شبيه بطراز المحاش[١١].

إن تضاريس الموقع صالحة للصيد. فالجبال شاهقة وذات تجاويف كهفية طبيعية استخدمت كمقابر وقد كشف فيها عن عدد من الجثث المحنطة والملفوفة بالجلد والكتان في موضع صعب الصعود إليه إلا بمشقة بالغة وباستخدام السلالم والحبال. كل هذا يؤكد أهمية الموقع إضافة إلى أن قاع الوادي خصب ويزرع حتى وقتنا الحاضر.

٨ . (Nayeem 1996)، ص ٢٩٨.
٩ الشحري ١٩٩٤، ص ٢٠٢.
١٠ الكباوي ١٩٨٨، ص ٩٧.
١١ أنظر: خان ١٩٩٦، ص ص ٣٤، ٤٤.

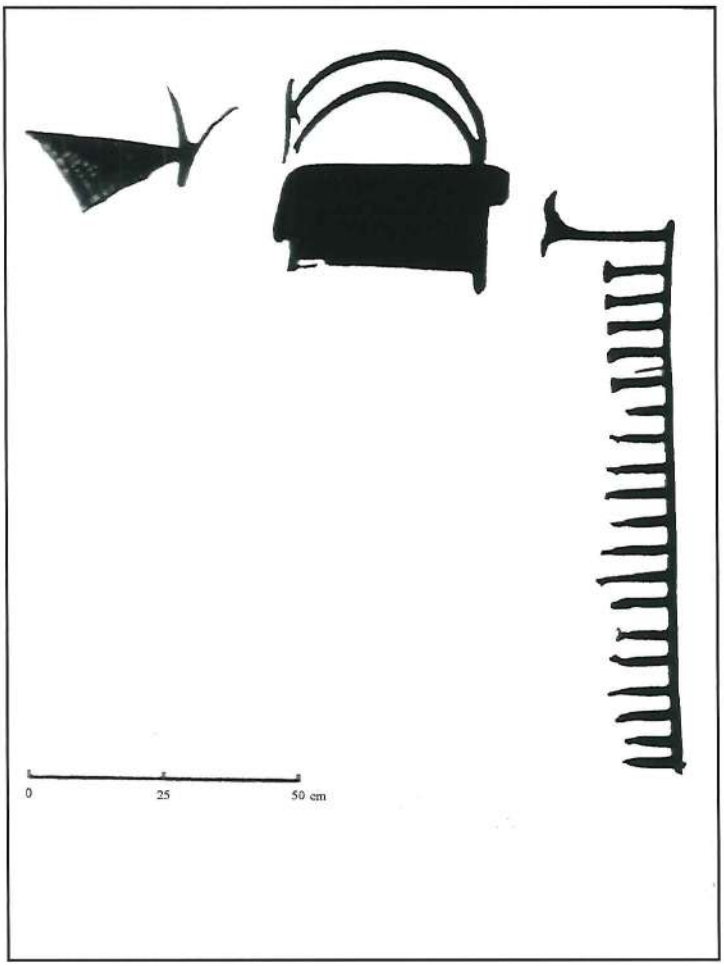

لوحة ٢ : رسم مصمت للوعل والمها - لون احمر من منطقة صيح بني مطر

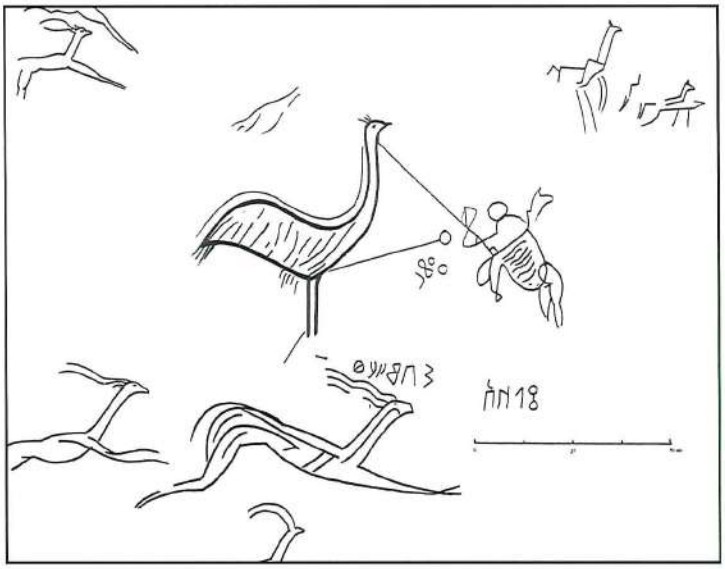

لوحة ٣ : جزء من منظر للصيد وانواع مختلفة من الحيوانات من منطقة بني ميمون عيال سريح

موقع بني ميمون[12] (لوحة ٣، ٤، ٥، ٦)

تنتشر رسوم منطقة بني ميمون في منطقة عيال سُريح على الطريق المؤدي من صنعاء إلى منطقة شبام كوكبان، وفي المرتفعات الداخلية وعلى حواف الأودية والشعاب الصغيرة. عرفت المنطقة نشاطا بشريا مكثفا يعود إلى العصر البرونزي.

إن أسلوب رسومات بني ميمون فريد من نوعه. فقد اهتم الفنان إلى جانب براعته في تشريح الأجسام بديناميكية المشهد بشكل عام وتكامل حركة العناصر فيه. فعكس انسجام الحركة وتناغمها واتجاهها. وجعل للبعد والمنظور مكانا في لوحته ما أعطاها سمة التصوير فتجاوز الرسم والنقش إلى حد بعيد.

بالرغم من أن الرسومات حفرت على صخور غير كبيرة نسبيا بالمقارنة بمواقع أخرى، إلا أن الفنان تمكن من تصوير منظر يحكي قصة متكاملة لنشاط الصيد ومطاردة عنيفة لأنواع مختلفة من الحيوانات كالوعول والمها والجمال وطيور النعام. وتظهر تفاصيل هذه الطيور واضحة جلية كالرقبة الطويلة النحيفة والرأس الصغير الذي يعلوه بعض الريش والساقان الرفيعان والريش خلف الجسم. النمط مشابه لرسومات وادي بجده شمال غرب تبوك (المملكة العربية السعودية) [13]. وكذلك يظهر النعام بكثرة في رسوم المنطقة الشمالية وخاصة جنوب الطوير في الموقع[14]. وكذلك في موقع جبل العرفاء بالطائف[15].

في هذا المشهد نرى الصياد وهو يمسك بالنعام بواسطة الحبل، وبالرغم من أن أسلوب الرسم قد نفذ بواسطة التحزيز الدقيق، إلا أن تفاصيل كثيرة تظهر بوضوح وجلاء. فرسم جسم الرجل الصياد يظهر تفاصيل الحركة وتقاسيم الجسم كالأفخاذ والأيدي والرأس.

أما رسوم الوعول والمها وهي تجري فتجسد الحركة بشكل رائع حيث تظهر الانسياب في رسم الخطوط والدقة من جانب آخر في رسم تفاصيل العضلات عند الانطلاق والعدو السريع في أوضاع القفز مع الاستمرارية في رسم المشهد لعدد كبير من الوعول والمها المتلاحقة هرباً من الصيادين.

في لوحة (٤) يتجسد الصيادون وهم يصارعون وعلا ضخم البنية وهو يلوي رأسه نحوهم ونبال الصيادين موجهة نحوه. حيث يظهر الصياد الأول بجوار الوعل وهو يحمل بيده اليمنى القوس وبيده اليسرى رمحا أو

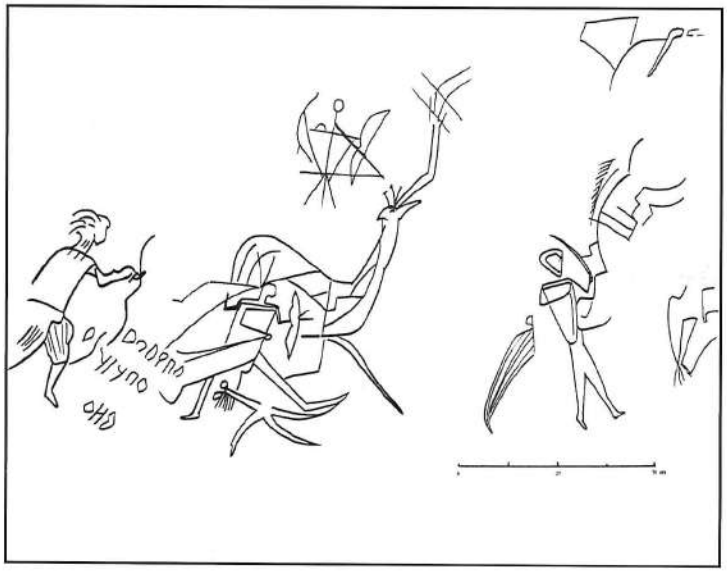

لوحة ٤ : جزء من منظر للصيد بالقوس او النبال
واشكال للانسان من منطقة بني ميون عيال سريح

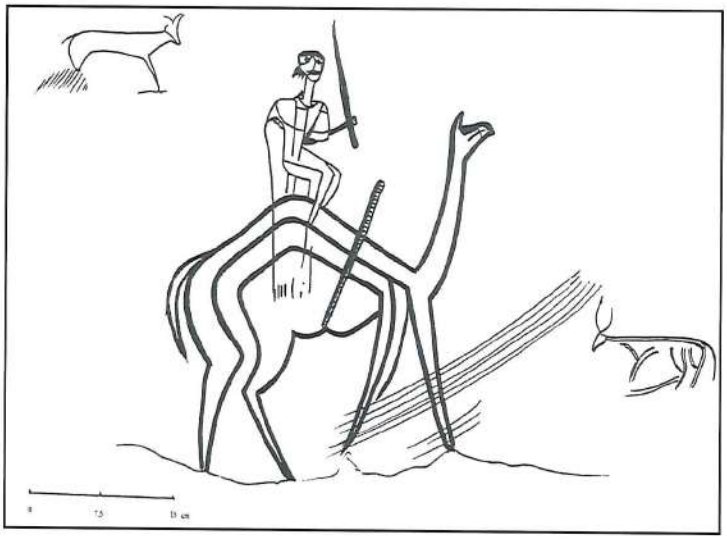

لوحة ٥ : الجمل المستأنس وبعض الحيوانات الاخرى
من منطقة بني ميمون - عيال سريح

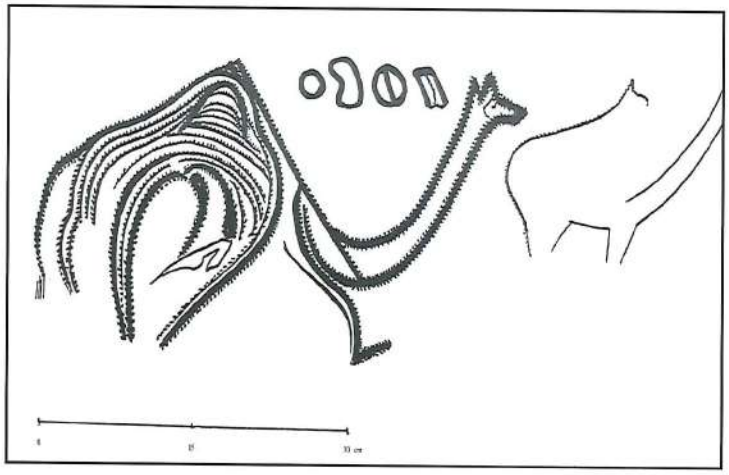

لوحة ٦ : الجمل وحروف المسند وأجزاء من حيوانات اخرى
من منطقة بني ميمون - عيال سريح

١٢ (Bani Maymoun). من قرى عيال سريح. وهم من قبائل همدان. أنظر: الحجري ١٩٩٦، ص ص ٤١٩، ٧٢٦.

١٣ ليفجستون وآخرون ١٩٨٥، لوحة ١٣٢أ.

١٤ الكباوي وآخرون ١٩٨٦، ص ص ١٠١-١٢٠: أرقام ٢٠١-٢٢٠.

١٥ . الكباوي وآخرون ١٩٩٠، ص ص ٤١-٥٦.

نبلا. أما الصياد الآخر فيظهر وقد نفذ بطريقة الرسم الإطاري وهو يجري باتجاه الوعل من مسافة وهو يصوب بالقوس تجاه الوعل ويظهر شعره وهو يتطاير إلى الخلف نتيجة السرعة، كما يظهر لباسه السروال المشمَّر إلى ركبتيه، وتوجد بعض الكتابات بخط المسند إلى يمينه.

في الجهة اليمنى للوحة يوجد صياد آخر بطريقة الرسم الإطاري الجيد، معالمه واضحة ومتناسقة، بحيث تظهر فيه كل التفاصيل وحركة الأقدام وهو رافعا سيفه في حالة المشي، كما تظهر أجزاء من بعض حيوانات أمامه. وفوق الوعل يظهر رسم عودي لصياد يحمل قوسين في يديه مسددا بها تجاه الوعل.

في لوحة (٥) من الموقع نفسه رسم دقيق التنفيذ لرجل يمتطي جملا ويحمل سيفا مرفوعا أمامه إلى الأعلى، وتظهر في الرسم تفاصيل الرجل وملابسه جيدا، كما تظهر في هذه اللوحة بعض التفاصيل المهمة سواء بالنسبة للإنسان أم لهندامه، فالوجه والعينان والشارب واضحة ويظهر قليل من الشعر أو العمامة في مؤخرة الرأس. أما حركة الجمل فتدل على السير وهو رافعا رأسه، وقد استخدم الرسام طريقة التحزيز والتنقيط معا. فرسم الجمل إطاريا بثلاثة خطوط متوازية متداخلة بطريقة هندسية دقيقة تظهر التناسق الجيد للأعضاء المناسبة للحركة، كما أن رسم الرجل يظهر بشكل إطاري دقيق الخطوط. وهناك رسوم إطارية لبعض الحيوانات باتجاهات مختلفة كخلفية للرسم الأساسي وفيما يبدو أنها للبقر والوعول.

في لوحة (٦) التي تقع في موضع ضيق كان صعبا علينا تصويرها إلا بعد توضيحها بواسطة الماء لا سيما وهي بداخل مجموعة من الصخور الكبيرة تشكل ملجأ استخدمه الإنسان آنذاك. ولهذا ركزنا على أهم عناصر الرسم فيه وهو رسم تخطيطي بأسلوب التحزيز الزجزاجي لجمل بشكل دقيق ورائع، إذ فيه تناسق شديد يدل على صبر الرسام وانسجامه أثناء تنفيذ العمل لا سيما في ذلك المكان الضيق الذي من المؤكد انه مكان استراحة. فهو أشبه بمغارة تتألف من صخور كبيرة الحجم بعيدة عن الجبال. والى جانب الرسم تظهر بعض الحروف بالخط المسند بين الرأس والسنام. إلى اليمين تظهر رسوم إطارية أخرى لحيوان آخر وجمل.

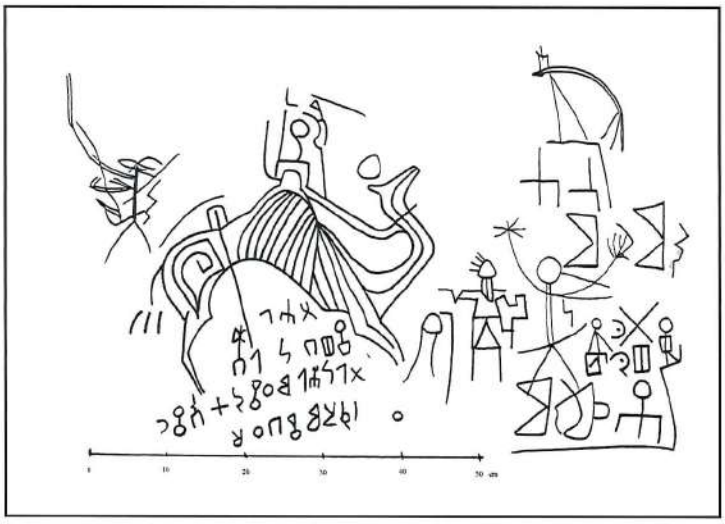

لوحة ٧ : الجمل والانسان وكتابات مسندية من وادي الدحل
منطقة سواد بهايس - ريدة

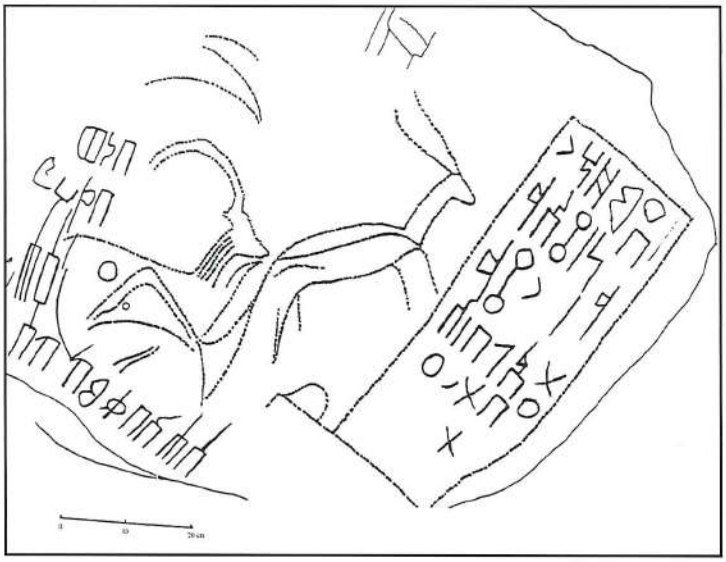

لوحة ٨ : الوعل واجزاء من حيوانات اخرى وكتابات مسندية
من وادي الدحل منطقة سواد بهايس - ريدة

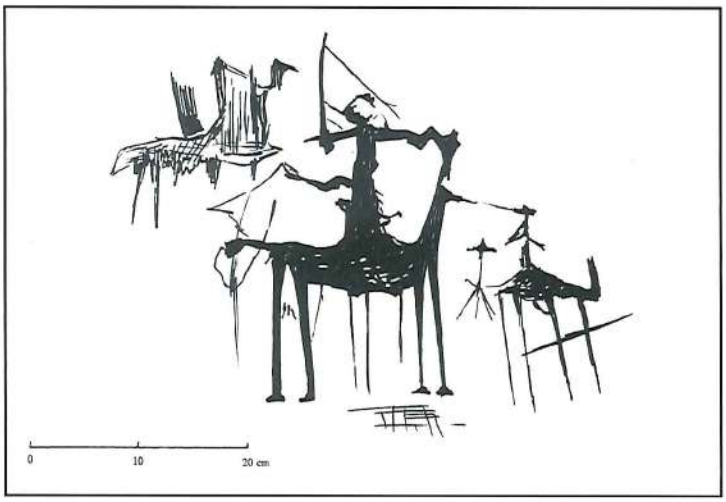

لوحة ٩ : الجمل والانسان من وادي الدحل
منطقة سواد بهايس - ريدة

موقع سواد بهايس[١٦]

يوجد الموقع في وادي الدحل، منطقة ريدة[١٧]، الذي شهد نشاطا بشريا منذ مرحلة العصر البرونزي وحتى العصر الحديدي. نسبت معظم رسوم الموقع إلى العصر الحديدي حيث تم العثور في عام ١٩٩٥م أثناء قيامنا بأعمال مسح في المنطقة على عدد من مواقع الرسوم الصخرية الرائعة التي تنسب لمرحلة العصر الحديدي لا سيما تلك التي وجدت معها كتابات بخط المسند ومن المرحلة نفسها.

استخدم في تنفيذ هذه اللوحات الفنية ثلاثة أساليب فنية: التحزيز والتنقيط والنقر. وهذه اللوحات وجدت في مواضع متقاربة من الوادي. في لوحة (٧) كثير من التعقيد حيث امتزجت الرسوم بالكتابات وأشكال الحروف التي تم بها رسم أشكال الإنسان والحيوان. أما مركز اللوحة فيتجسد فيه رسم متناسق لجمل قائم يوشك أن يَبْرك أو أن يعتدل في قيامه، ويظهر عليه رجل يشد الرقبة بالحبل.

نفذ الرسم بطريقة التحزيز بخطوط دقيقة رائعة ومضبوطة إلى حد كبير، إذ تظهر خلال الرسم أجزاء جسم الجمل بتناسق تام. وهناك أيضا الرسم بطريقة الخطوط المتجاورة (متوازية ومتقاطعة)، كذلك غطت المساحات الداخلية بخطوط متوازية تتعامد على الخطوط الخارجية للجمل. والواقع أن تنسيق الخطوط كان غاية في الدقة والإبداع. ومن المؤكد أنه استغرق الكثير من الوقت لتنفيذ هذه العملية حتى وصل إلينا بهذه الدقة. أما شكل الرجل فيبدو رسما تجريديا عوديا وكأنه حروف مركبة من المسند. ويظهر أسفل جسم الجمل وبالتحديد بين رجليه ويديه كتابة بخط المسند.

أمام الجمل رسوم تجريدية مكونة من حروف مركبة، ويظهر من خلالها حروف بارزة مثل الميم والصاد والتاء والطاء والياء والجيم والنون ويتوسط هذه الحروف رسم عودي متأخر تأريخه عن الرسم سالف الذكر. ويظهر في هذا الرسم رجل يرفع يديه إلى الأعلى وتظهر الأصابع والرجلين مفتوحتين وكأنه يرقص. وفي أعلى اللوحة يوجد رسم لحيوان وكأنه ابن آوى وهو رسم عودي على شكل ربع دائرة مزدوجة ويظهر الذيل معبرا عنه بثلاثة خطوط. وهو يتجه باتجاه الجمل ويقف على قاعدة فوق الحروف. والى اليسار في اللوحة ذاتها يوجد رسم عودي متأخر لرجل وكأنه يلتف حول نفسه ويحمل عصا أو سلاح بيده. أما رأسه فيظهر وكأن شعره يتناثر مع الحركة. في لوحة(٨) من الموقع نفسه تظهر رسوم لقطعان من الوعول والمها في حركة طبيعية وهي تمشي باتجاه

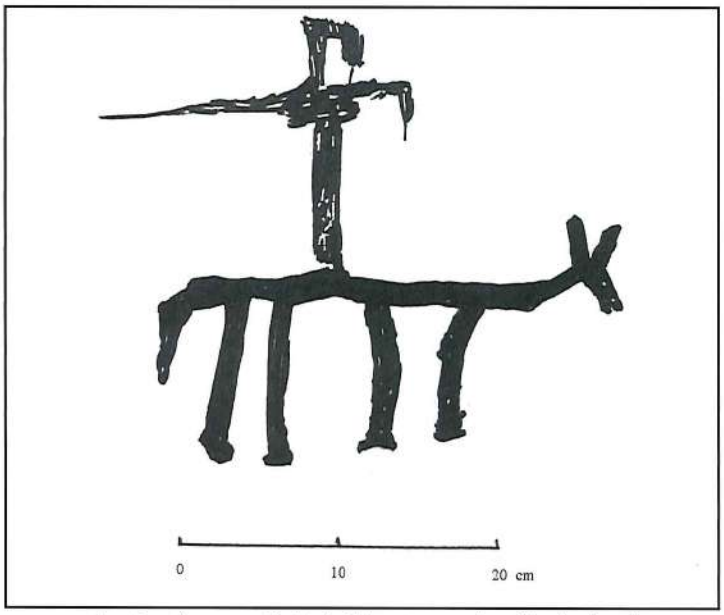

لوحة ١٠ : الانسان يستخدم الحمار للركوب من وادي الدحل
منطقة سواد بهايس - ريدة

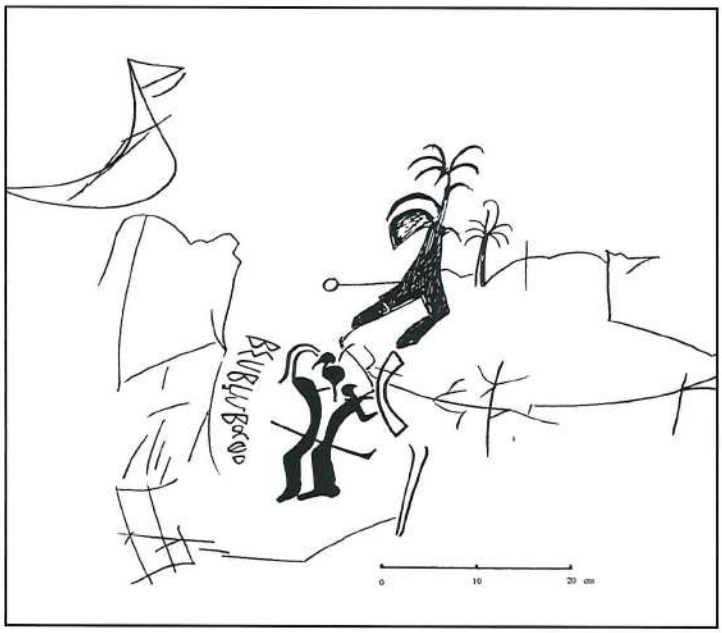

لوحة ١١ : الانسان وادوات الصيد وكتابات مسندية
من آكام الذياب اليمانيتين - خولان الطيال

١٦ (Sawad Bahyes).

١٧. يقال لها أيضا ريدة شهير، تبعد عن صنعاء بمسافة ٤٩ كم شمال غرب، وهي قرية أثرية. أنظر: المقحفي ١٩٨٨، ص ٢٧٩.

واحد. وقد استخدم الرسام آلة حادة للرسم بطريقة التنقيط الزجزاجي لرسم إطار يحيط بأحرف المسند. هذا الأسلوب أظهر التفاصيل الخارجية للجسم إضافة إلى توضيح قرون الوعول المعكوفة وقرون المها الممتدة إلى الأعلى. وتظهر أمام الوعول كتابة بخط المسند تذكر اسم شخص يدعى ع م ذ خ ر ب ن ث ء د د وهو يقدم شيئاً للإله «تألب».

ثمة لوحات بنمط وأسلوب مغاير تماما وهو في الواقع ما نشاهده بكثرة في المواقع اليمنية ومواقع أخرى من الجزيرة العربية. فالرسومات في هذا الأسلوب نفذت بالنقر الخفيف إضافة إلى بعض الاستعمال لرؤوس الحجر الحادة لعمل خطوط بالحك تمثل الأرجل أو الأيدي أو الرماح. نفذ الرسم على صخور جرانيتية صلبة قاتمة اللون ذات سطح أكثر صقلا واتساعا رغم انه طبيعي. فبدت الرسوم متباينة مع لون الصخر الطبيعي وتمثل رسما لرجل يمتطي جملا ويحمل سلاحا وتظهر بجواره رسمة خفيفة لمنظر مشابه ولكنه اصغر حجما لوحة (٩).

أما اللوحة الثانية من الموقع ذاته فهي رسم بسيط التكوين وسهل التنفيذ. ربما كان قد نفّذ في وقت متأخر عن الرسوم التي سبقت. وقد تم تنفيذه بأسلوب النقر الخفيف). وهو من النوع (العودي) لرجل يمتطي حمارا على الأرجح حيث تظهر الأرجل القصيرة والأذنين الكبيرتين والذيل. أما رسم الرجل فيما يبدو أنه واقف. والرسم غير دقيق كما هو في اللوحات السابقة. لوحة (١٠).

موقع آكام الذياب[١٨]

يقع هذا الموقع في منطقة اليمانيتين[١٩] وهي إحدى مناطق خولان الطيال المعروفة. الواقعة شرق صنعاء. وهي من المواقع التي لم تخلو هي الأخرى من رسوم ومناظر الصيد. وفي هذه اللوحة تظهر الرسوم التي تجمع بين الأشكال التجريدية والرمزية للإنسان. وبين بعض العناصر أو الأعضاء بشكلها الطبيعي. وهذه الظاهرة تتكرر في الكثير من الآثار. ويفسرها علماء الآثار وفقاً للدلائل والمؤشرات الأخرى المرافقة بأن ذلك: يُعد من الطقوس الدينية أولاً. وأن هذه الرسوم لا تمثل كائناً بشرياً في الأصل كالإنسان - مثلا - ولكنها تمثل الآلهة التي تُعبَد. حيث تظهر في بعض الرسوم بجسم إنسان بشري. إلا أن الرأس يظهر على هيئة حيوان أو حية أو طائر أو خلافه. وهذا يعني أن للصيد

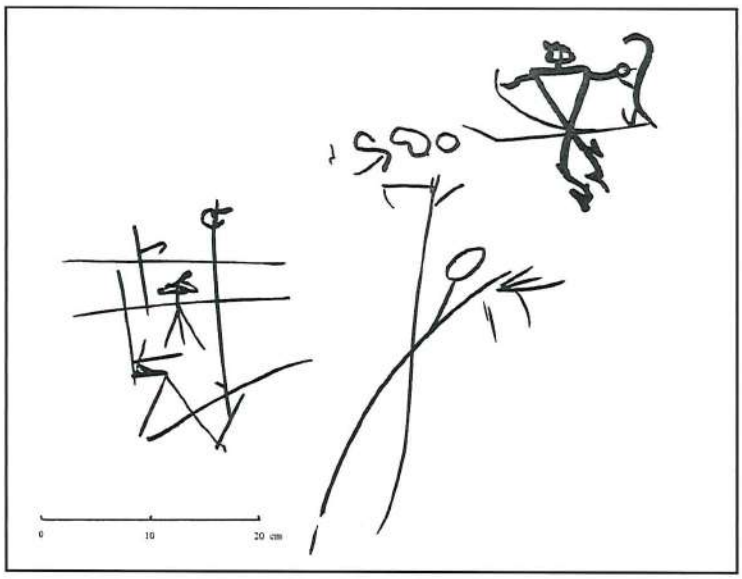

لوحة ١٢ : الانسان وادوات الصيد من آكام الذياب اليمانيتين - خولان الطيال

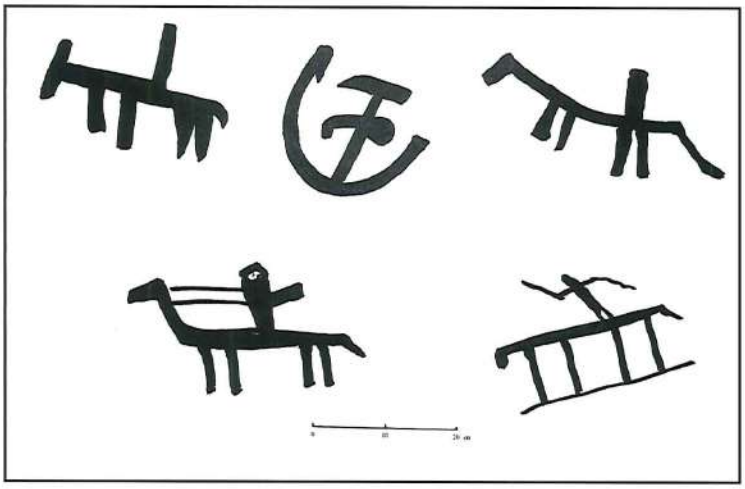

لوحة ١٣ : اشكال مختلفة لحيوانات مستأنسة يركبها الانسان من منطقة قراطيس - المساجد

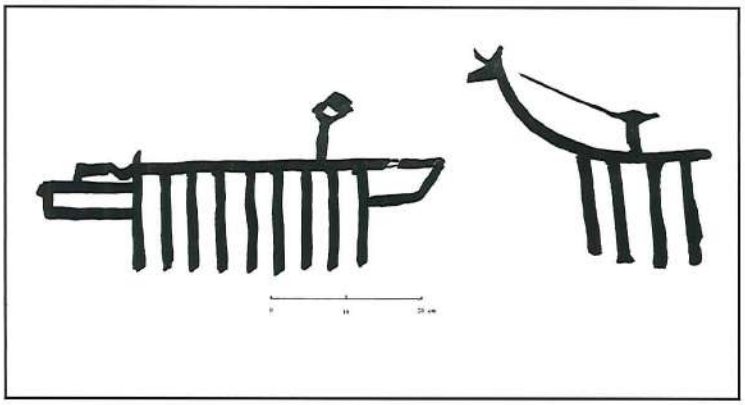

لوحة ١٤ : الجمل وحيوان اخر مستأنس يركبها الانسان من بنت الأسهر - وادي الرشيد - غرب المساجد

١٨ (Akam Althyab). صور هذا الموقع والرسوم جاءت مشاركة كريمة من صديقي الوفي الدكتور محمد علي السلامي. وهي من منطقة مسقط رأسه في خولان.

١٩ الحجري ١٩٩٦. ص ٧٨١.

طقوس جاءت لتجعله مقدس وليس لعدم قدرة الرسام على رسم هذه التفاصيل وإتقانها وألا لوجدنا الكثير من التفاصيل الأخرى غير متقنة.

ففي لوحة (١١) نجد الصياد وهو يصوب بالقوس مقلوبا ويضع السلاح على خصره وتظهر القدمان بشكلها الطبيعي، ولكن بالاتجاه المعاكس وخاصة القدم اليسرى وكأنها جانبية، وربما اليدان كذلك مع الأكتاف، إلا أن الرأس يبدو مختلفا رغم ظهور ما يشبه خصلتان للشعر في الخلف. وفي هذا الرسم تظهر الأرجل مشابهة لأساليب الرسم في مواقع من المملكة العربية السعودية مثل موقع جبة[٢٠]. كذلك من منطقة حائل ضمن مجموعة من الرجال في هيئة رقص[٢١].

أما في أعلى اللوحة فيظهر رسم إنسان وكأنه شجرة نخيل إلا أن الشكل البشري واضح، وربما مثل رقصاً وتعبيرا عن الفرحة بالصيد، ويظهر كذلك ما يشبه السياج أو المكان المخصص للصيد محاطاً بأشجار وفي أعلى اللوحة رسما إطاريا وكأنه لطائر أشبه بالبط أو الوز، والواقع أن رسم شجر النخيل ظهر في رسومات ظفار[٢٢]. وكل هذه تعد رسوماً رمزية أراد من خلالها الرسام أن يعبر عن مشهد الأفراح بعد إتمام عملية الصيد كما تظهر بعض الكتابات بالخط المسند كتبت طوليا. ومن خلال المقارنة الأسلوبية لهذه اللوحة فإننا نجد أقرب الشبه لها في الأسلوب المعروف بأسلوب الرؤوس البيضاوية[٢٣].

يظهر في اللوحة الثانية الرسم بالأسلوب العودي الرفيع لأشكال الإنسان. ففي وسط اللوحة يظهر الإنسان من خلال تقاطع خطين منحنيين يمثلان الرجلين واليدين. أما الرأس فيظهر هو الآخر على هيئة دائرة متصلة بخط أسفلها، وتظهر في أعلى الرسم حروف بخط المسند.

أما في الجهة اليمنى إلى الأعلى فيظهر رسم أكثر اتقانا ويمثل شكل رجل يوجه قوسه ونباله إلى الأمام ويشد على النبل في لحظة الاستعداد للرمي، وقد نفذ هذا العمل أيضا بطريقة الخطوط المتقاطعة مع إضافة التفاصيل إليها. وهذا النموذج في جزئه الأعلى يشبه إلى حد ما أسلوب ١٣ و١٤ من ذوي الرؤوس البيضاوية و أسلوب ١١ في الجزء السفلي[٢٤]. وفي الجهة الأخرى رسوم متداخلة للإنسان بالخطوط المتقاطعة والمتوازية.

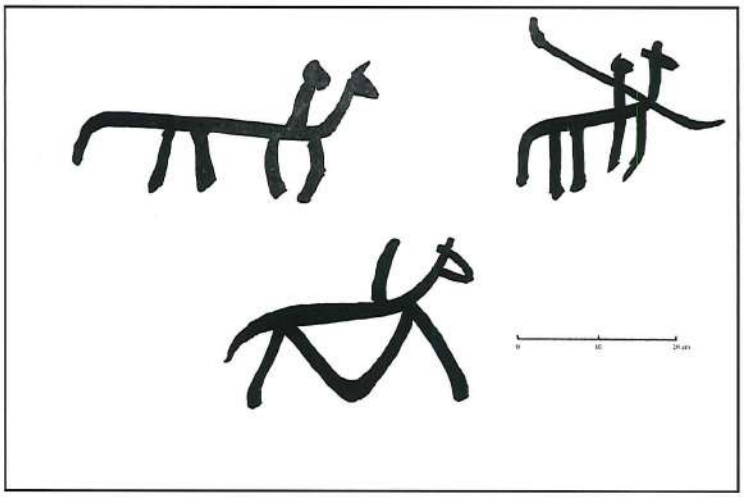

لوحة ١٥ : أشكال مختلفة لحيوانات مستأنسة يركبها الانسان
من بنت الاسهر - وادي الرشيد - غرب المساجد

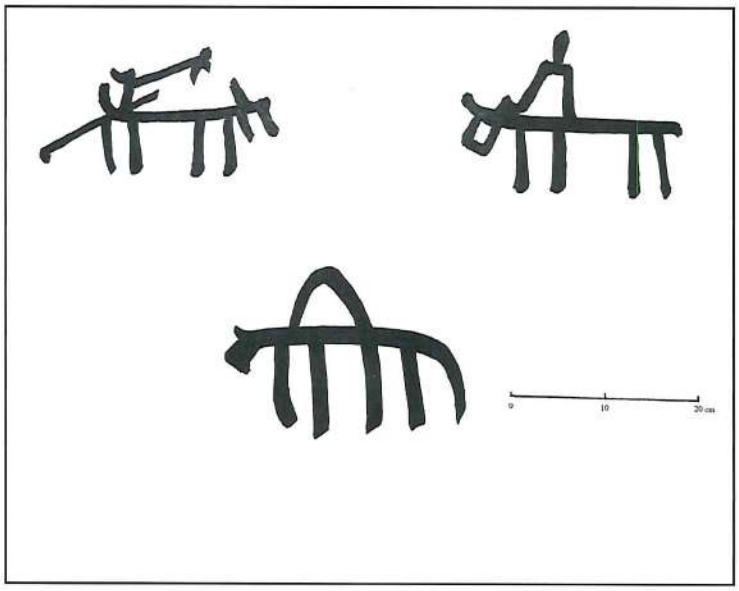

لوحة ١٦ : أشكال مختلفة لحيوانات مستأنسة يركبها الانسان
من بنت الاسهر - وادي الرشيد - غرب المساجد

٢٠ . أدامز ١٩٧٧، ص ٢٥: لوحة ١٢.
٢١ . عبد النعيم ١٩٩٥، ص ٢٦٤. أنظر أيضا خان ١٩٩٦، ص ٣٨.
٢٢ . الشحري ١٩٩٤، ص ٩٤.
٢٣ . خان ١٩٩٦، ص ٧٩: شكل ١٥.
٢٤ . خان ١٩٩٦، ص ٧٩.

تعبر هذه اللوحة عن جزء من النشاط اليومي للإنسان في المنطقة. فالصيد هو الشغل الشاغل. ولهذا فهو المسيطر في معظم أعمال الرسامين لوحة (١٢).

موقع قراطيس[٢٥]

موقع قراطيس هو أحد المواقع الأثرية الواقعة بالمساجد[٢٦] إلى الغرب من صنعاء. على الطريق المؤدي إلى بني مطر والحديدة. توجد في هذا الموقع بقايا مباني أثرية من مراحل مختلفة من العصر البرونزي والعصر الحديدي.
حفرت هذه الرسوم على واجهات صخرية كبيرة في الجبال القريبة من مواقع الاستقرار سالفة الذكر بطريقة النقر وبأسلوب الرسم العودي البسيط. تتألف الرسوم من أشكال تجريدية. حيوانية وآدمية. ضعيفة التنفيذ. لا تجسد بشكل واضح الأشكال. ولكنها تظهر فقط السمات الأساسية. إلا أن العناصر أكثر وضوحا هي بالنسبة للحيوانات. بحيث يمكن معرفة النوع على أقل تقدير. حيث تظهر الحمار المستأنس بشكل واضح والذي يركبه الإنسان لوحة (١٣).

موقع بنت الأسهر[٢٧]

يعرف هذا الموقع أيضا باسم زهراء بنت الأسهر وهو احد المواقع الأثرية الواقعة على وادي الرشيد. غرب منطقة المساجد. بمنطقة بني مطر إلى الغرب من صنعاء. وتعود هذه المواقع إلى فترات مختلفة لعل أبرزها العصر الحديدي. تنتشر بعض الرسوم المنفذة بطريقة النقر وبالأسلوب العودي. مثلها مثل المواقع في منطقة قراطيس المجاورة. وهذه الرسوم التجريدية تعرض نموذجا للحياة السائدة والتعامل مع الحيوان المستأنس بالدرجة الأولى. فلم يعد للحيوانات البرية الاهتمام الكبير والسائد كما كان في المراحل سابقة.
يظهر في الرسوم حيوانات مثل الجمل والحمار. ففي اللوحة الأولى يظهر الجمل ويركب عليه الإنسان الذي يجر رأسه بالحبل. ولم يظهر رسم الإنسان بكل تفاصيله. ولكنه يظهر جذعه فقط كرمز يمكن أن يدل بدون منازع على أنه الإنسان. وبهذا يكتفي الرسام بتوصيل فكرته بهذا الأسلوب المختزل للعناصر الرئيسية.
بشكل مماثل رسم جسم الجمل بالرقبة الطويلة المنحنية. والتي تختلف على سبيل المثال عن رقبة الغزال. وكذلك السنام البارز أعلى ظهره. وهكذا فقد أوصل الفنان فكرته بكل وضوح. (لوحة ١٤).
من الصعب تحديد العناصر الرئيسية في الرسم المجاور ما عدا الإنسان الذي يمتطي الحيوان. الذي ربما يكون حمارا. إلا أن تعدد الأرجل يبقى المشكلة الرئيسية في هذا الرسم. إذ من الصعب التكهن بما يقصده الرسام من تلك الزيادة المبالغة والمقصودة في الوقت نفسه. وقد حدد اتجاه الحيوان بتحديد تفصيل الرأس والذيل حيث قام بعمل ما يشبه التناظر بينهما. ربما كان القصد منه هنا خلق نوع من الانسجام والتعادل في اللوحة (لوحة ١٤).
في اللوحات التالية قام الرسام برسم الحيوانات. وهي في الغالب الحمار. بالرسم العودي والإطاري أحيانا. كما رسم الإنسان وهو يقود الحمار ويحمل معه عصا أو رمح (؟). فمرة يجعل البطن متدلية إلى الأسفل. وهو الوضع الطبيعي كما في (لوحة ١٥). وهو أسلوب مشابه إلى حد كبير لأسلوب الجوف/سكاكا[٢٨]. وكذلك مشابه لرسوم وادي بني رواحة في عُمان[٢٩]. في رسوم بنت الأسهر يجعل الظهر بارزا إلى الأعلى كما في (لوحة ١٦). أو بجعل الرأس مفرغا (إطاريا) كما في (لوحة ١٥) و(لوحة ١٦).
في هذه اللوحات المتناثرة والمبتورة إلى حد ما والمنتشرة على عدد من واجهات الجبال ذات الصخور الجرانيتية رسمت الرسوم بطريقة النقر بواسطة الحجر الصلب. ربما من الصوان.
لا يبرز في هذه اللوحات فنا مميزا كما هو الحال في اللوحات السابقة. ولكنها تدل في كل الأحوال على مرحلة من الضعف التكنيكي الذي ساد هذا النوع من الفنون. إذ لم تعد الحاجة ماسة إليه كما كانت في العصور السابقة. فقد اكتفى الفنان بالرمزية والتجريدية في إيصال ما بداخله والبوح بما يشاهده من حياة رتيبة غير مثيرة. حيث لم تترك المشاهد المعتادة في حياته اليومية ما يساعد الذاكرة على التفاعل والانبهار بشيء مميز مما يزيد من الإبداع. ولم تجعل القلق أو الفضول أو غير ذلك من المشاعر تؤثر عليه. أو تتملك فكره فينتج عنه عملا فنيا في شكل رسوم أو ما شابه ذلك (لوحة ١٥، ١٦). وهذه الأساليب تشبه إلى حد كبير أساليب الجوف/سكاكا. وكذلك أسلوب منطقة تبوك[٣٠]. وتشبه إلى حد كبير الرسوم الصخرية في أودية حضرموت[٣١].

---

٢٥ . (Qaratees).
٢٦ . المساجد: قرية من عزلة شهاب الأسفل على بعد ٢٠ كم من صنعاء. أنظر: المفحفي ١٩٨٨، ص ٥٨٩.
٢٧ (Bent Alashar).
٢٨ الكباوي ١٩٨٦، ص ١١٥: رقم ١٢.
٢٩ جاكلي ١٩٨٠، ص ٧١: شكل ٢٤.
٣٠ الكباوي ١٩٨٦، ص ١١٥.
٣١ . العيدروس ٢٠٠١، ص ص ١٠٠، ١٠٤.

خاتمة

تظهر في هذه الرسوم من مواقع شمال صنعاء وغربها وشرقها اختلافات في التنفيذ والأساليب وهو ما يعكس ثقافة منفذيها. ويمكن القول بأن المواقع التي تتصل كثيرا بالمناطق الأخرى، ولها علاقات تجارية أكثر من غيرها هي التي تجلت فيها ثقافة متميزة ومتنوعة وعلى قدر عال من الإبداع، فتجسدت في رسومها عناصر وأساليب أكثر نضجا من غيرها. أما في المناطق الداخلية والمنزوية عن طرق القوافل التجارية، فكان الرسامون من الرعاة والصيادين البسطاء، فتميزت بأسلوب بسيط واضح يجسد بشكل أعمق الحياة العامة وانعكاسات التفاعل اليومي الرتيب بين الإنسان ومحيطه.

اتضحت في الرسوم أساليب رائعة وطرق مبتكره فريدة ومنها طرق الحز الزجزاجي كما في موقع سواد بهايس وبني ميمون، مع الدقة البالغة في التفاصيل ومعرفة تامة بالتشريح والحركة للجسم الحيواني وجسم الإنسان، إضافة إلى توزيع العناصر في اللوحة بحيث يجعل المشاهد يتفاعل مع الرسم ويتصور الحدث الذي يجري أمامه.

أساليب الرسوم

هناك أربعة أساليب نفذت بها الرسوم الصخرية المجموعة في هذا المقال، وهي:

الرسم بالتحزيز

يتمثل هذا الأسلوب بإحداث شق رفيع متصل بعمق لا يتجاوز مليمتر تقريبا ويتم ذلك بالضغط على آلة حديدية حادة ورفيعة تترك خطوطا غائرة يمكن رؤيتها بوضوح أحيانا ويصعب ذلك حينا آخر، ويعتمد ذلك على نوع الصخر ولونه وعمق الحز فيه، وموقعه وتعرضه لعوامل التعرية.

الرسم بالتنقيط والتسنين

وهو أسلوب يجمع في ثناياه بين أسلوب الحز في خطوط ممتدة وأسلوب النقط المتجاورة في شكل خط متعرج حاد الزوايا. ويظهر أن الآلة المستخدمة هي آلة حديدية حادة بحيث أوجدت خطوطا متقطعة أو عبارة عن نقط متقاربة أو أشبه بخطوط مسننة.

الرسم بالنقر

وهو الطرق الخفيف بحجر صلب على سطح الصخور لإزالة مساحة رقيقة من القشرة المبطنة يتباين من خلالها اللون، فيظهر الرسم أقل درجة من لون سطح الصخر الأصلي.

الرسم بالألوان

تستخدم مواد من الصخور الملونة التي يستخرج منها اللونين الأحمر والأصفر، أو الفحم والذي يعطينا اللون الأسود، أو بعض النباتات أو الأشجار البرية التي يستخرج من سيقانها أو أوراقها ألوان مختلفة وخاصة اللون الأحمر، وظهر كذلك اللون الأبيض والرمادي في بعض المواقع الأقدم[٣٢]. وهكذا نجد أن الألوان الرئيسية التي ظهرت في الرسوم الصخرية (في المواقع التي بين أيدينا فقط) تتمثل في الألوان التالية: الأحمر أو الأصفر أو الأسود، ويرسم بها على الصخور بواسطة الأصابع أو بفرشاة ربما صنعت من أغصان الأشجار.

٣٢. هذا اللون ظهر بشكل رئيسي في موقع وادي بن علي الذي اكتشف من قبل فريق فرنسي أثناء عمل شركة الغاز لمسوحات في تلك المنطقة وقد أرجع الموقع إلى العهد الأول من العصر الحجري بين ٥٠٠٠٠ - ١٥٠٠٠ سنة. أنظر: كراسار ٢٠٠٦.